باب النّاسكِ وابنِ عِرْسٍ[1]

قالَ دَبْشَليمُ المَلِكُ لِبَيْدَبا الفيْلَسوفِ: قدْ سَمِعْتُ هذا المثَلَ فاضربْ لي مثَلَ الرَّجُلِ العَجْلانِ في أمْرِهِ منْ غيرِ رَوِيَّةٍ[2] ولا نَظَرٍ في العَواقِبِ.

قالَ الفيْلسُوفُ: إنهُ مَنْ لمْ يكُنْ في أمرِهِ مُتَثبِّتاً لمْ يَزَلْ نادِماً ويَصيرُ أمرُهُ إلى ما صارَ إليْهِ النَّاسِكُ منْ قتْلِ ٱبْنِ عِرْسٍ وقدْ كان لهُ وَدُوداً. قال الملِكُ: وكيْفَ كانَ ذلكَ؟

قال الفَيْلَسُوفُ: زعَمُوا أنّ ناسِكاً منَ النُّسَّاكِ كانَ بأرْضِ جُرْجانَ وكانتْ لهُ امرَأةٌ جميلةٌ لها مَعهُ صُحْبةٌ. فَمكثَا زَماناً لم يُرْزَقَا ولَداً، ثمَّ حَمَلتْ منهُ بعْدَ الإياسِ[3] فسُرَّتِ المرْأةُ وسُرَّ النّاسِكُ بذلكَ فَحمِدَ الله تعالى وسألَهُ أنْ يكُونَ الحَمْلُ ذَكراً. وقال لزوْجتِه: أبْشِري فإني أرْجُو أنْ يكونَ غُلاماً لنَا فيهِ مَنافِعُ وقُرَّةُ عيْنٍ، أخْتارُ لهُ أحْسَنَ الأسْماءِ وأُحْضِرُ لهُ سائرَ الأدَباءِ. فقالتِ المرْأةُ: ما يَحْمِلُكَ أيُّها الرَّجُلُ على أنْ تَتَكلَّمَ بما لا تَدْرِي هلْ يكونُ أمْ لا، ومَنْ فَعَلَ ذلكَ أصابَهُ ما أصَابَ النَّاسِكَ الذي أهْرَقَ على رأسهِ السَّمْنَ والعسَلَ. قال لَها: وكيْفَ كانَ ذلكَ؟

[حلم الناسك]

قالتْ: زعمُوا أنَّ ناسِكاً كانَ يَجْري عليْهِ منْ بيْتِ رجُلٍ تاجرٍ في كلِّ

---

(١) ابن عرس بالكسر: دويبة كالفأرة جمعها بنات عرس. تفتك بالدجاج ونحوها.

(٢) الروية: التأني.

(٣) الإياس: القنوط.

يوْمٍ رِزْقٌ منَ السَّمْنِ والعسَلِ، وكانَ يأكلُ منْهُ قُوتهُ وحاجتَهُ، ويَرْفَعُ الْباقيَ ويَجْعَلُهُ في جَرَّةٍ ويُعلّقُها في وَتِدٍ في ناحيَةِ البيْتِ حتى امْتلأتْ. فبينما النَّاسِكُ ذاتَ يوْمٍ مُسْتلْقٍ على ظَهْرِهِ والعُكَّازَةُ في يدِهِ والجَرَّةُ مُعلَّقةٌ فوْقَ رَأسِه تَفكَّرَ في غَلاءِ السَّمْنِ والعسَل. فقالَ: سَأبيعُ ما في هذهِ الجَرَّةِ بدِينارٍ، وأشتَرِي بهِ عَشْرَ أعنُزٍ فيَحْبَلْنَ ويَلِدْنَ في كلِّ خمْسَةِ أشْهُر بَطْناً، ولا تَلْبَثُ إلا قليلاً حتى تَصيرَ غنَماً كثيراً إذا وَلَدَتْ أوْلاَدُها. ثمَّ حَرَّرَها على هذا النَّحْوِ بِسنينَ فوَجَدَ ذلكَ أكثرَ منْ أرْبعمائةَ عَنْزٍ. فقالَ: أنا أشترِي بها مائةً منَ البقَرِ بكلِّ أربْعةِ أعنُزٍ ثَوْراً أوْ بقرَةً وأشترِي أرْضاً وبَذْراً وأسْتأجِرُ أكَرَةً[1] وأزْرَعُ على الثِّيرَانِ وأنْتفِعُ بألْبانِ الإناثِ ونَتائِجِها فلا تأتي عليَّ خمْسُ سِنينَ إلاّ وقدْ أصَبْتُ منَ الزَّرْعِ مالاً كثيراً فأبْني بيْتاً فاخِراً وأشتري إمَاءً وعَبيداً وأتزَوَّجُ امرَأةً ذاتَ حُسْنٍ وأدْخُلُ بها فتحْبَلُ ثمَّ تأتي بغُلامٍ سَرِيٍّ[2] نَجِيبٍ، فأخْتارُ لهُ أحْسَنَ الأسْماءِ، فإذا تَرَعْرَعَ أدَّبْتُهُ وأحسَنْتُ تأدِيبَهُ وأشَدِّدُ عليْهِ في ذلكَ فإنْ قَبلَ منِّي وإلاّ ضَرَبْتُهُ بهذهِ العُكَّازَةِ وأشارَ بيدهِ إلى الجَرَّةِ فكسَرَها وسَالَ ما فِيها على وجْهِه.

وإنَّمَا ضَرَبْتُ لكَ هذا المثَلَ لكيْ لا تَعْجَلَ بذِكْرِ ما لا ينْبغي ذِكْرُه، وما لاَ تَدْري أيَصحُّ أمْ لا يَصحُّ، فاتَّعَظَ النَّاسكُ بما حَكَتْ زوْجتُهُ، ثمَّ إنَّ المرْأةَ ولَدَتْ غُلاماً جَيملاً ففَرِحَ بهِ أبُوهُ، وبعْدَ أيَّامٍ حانَ لها أنْ تَتَطَهَّرَ، فقالتِ المرْأةُ للنّاسكِ اقعُدْ عنْدَ ابْنِكَ حتى أذْهَبَ إلى الحَمَّامِ فأغتسِلَ وأعُودَ، ثمَّ إنها انْطلَقَتْ إلى الحمَّامِ وخَلّفَتْ زوْجَها والغُلاَمَ، فلمْ يَلْبَثْ أنْ جاءَ رَسُولُ الملِكِ يَسْتَدْعِيهِ ولمْ يَجِدْ مَنْ يُخلّفُهُ عندَ ابنهِ غيرَ ابنِ عِرْسٍ دَاجِنٍ[3] عنْدَهُ كانَ قد ربَّاهُ صغيراً فهُوَ عندَهُ عَدِيلُ ولَدِه فترَكَهُ عندَ الصبيِّ

(١) أكرة جمع أكار: وهو الحراث.
(٢) سري: أي صاحب مروءة وشرف.
(٣) الداجن: كل حيوان يربى في البيوت.

وأغلَقَ عليْهِما البيْتَ وذهَبَ معَ الرَّسولِ.

فخرَجَ منْ بعْضِ أجحارِ البيْتِ حيةٌ سوْداءُ فدَنتْ منَ الغُلامِ فَضَرَبها ابْنُ عِرْسٍ ثمَّ وثَبتْ فقتَلَها ثمَّ قَطّعَها وامتلأَ فمُهُ منْ دمِها، ثمَّ جاءَ النّاسكُ وفَتَحَ الْبابَ فالْتَقاهُ ابْنُ عرْسٍ كالمُبشِّرِ لهُ بما صَنعَ منْ قتْلِ الحيةِ. فلمّا رآهُ مُلوَّثاً بالدَّمِ وهوَ مَذْعُورٌ طارَ عقْلُهُ وظَنَّ أنهُ قدْ خَنَقَ ولدَهُ ولمْ يَتَثَبَّتْ في أمرِه ولمْ يَترَوَّ فيهِ حتى يَعْلَمَ حقيقةَ الحالِ ويَعْمَلَ بغيرِ ما ظَنَّ منْ ذلكَ ولكِنْ عجَّلَ على ابْنِ عِرْسٍ وضَربَهُ بِعُكّازةٍ كانتْ في يدِهِ على أمِّ رأسهِ[1] فماتَ ودَخلَ النّاسِكُ فرَأى الغُلامَ سَليماً وعنْدَهُ أسوَدُ مُقطَّعٌ، فلمَّا عرَف القِصَّةَ وتَبيَّنَ لهُ سوءُ فِعْلهِ في العَجَلَةِ لطَمَ على رأسهِ وقالَ: لَيتَني لمْ أُرْزَقْ هذا الوَلَدَ، ولمْ أغْدِرْ هذا الغَدْرَ، ودَخَلَتِ امرَأتُه فوَجَدَتْهُ على تلكَ الحالِ فقالتْ لهُ: ما شأنُكَ؟ فأخبَرَها بالخبرِ منْ حُسْنِ فعلِ ابْنِ عِرْسٍ وسُوءِ مُكافأتهِ لهُ، فقالتْ: هذهِ ثمرَة العَجَلةِ.

فهذَا مثَلُ مَنْ لا يَتَثَبَّتُ في أمرِهِ بلْ يَفْعَلُ أغْراضهُ بالسُّرْعةِ والعجَلةِ.

---

(١) أم رأسه: دماغه.